# حكم سب الصحابة

لابن حجر الهيثمي

اعلم أن الذى أجمع عليه أهل السنة والجماعة أنه يجب على كل مسلم تزكية جميع الصحابة باثبات العدالة لهم ، والكف عن الطعن فيهم والثناء عليهم ، فقد أثنى الله سبحانه وتعالى عليهم فى آيات من كتابه منها قوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » فأثبت الله تعالى لهم الخيرية على سائر الأمم ، ولا شىء يعادل شهادة الله تعالى لهم بذلك لأنه تعالى أعلم بعباده وما انطووا عليه من الخيرات وغيرها ، بل لا يعلم ذلك غيره تعالى ، فاذا شهد تعالى فيهم بأنهم خير الأمم وجب على كل أحد اعتقاد ذلك والايمان به والا كان مكذبا لله تعالى فى اخباره ولا شك أن من ارتاب فى حقيقة شىء مما أخبر به الله تعالى أو رسوله ( عليه السلام ) كان كافرا باجماع المسلمين ، ومنها قوله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس » والصحابة ( رضوان الله عليهم أجمعين ) فى هذه الآية والتى قبلها هم المشافهون .

بهذا الخطاب على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم حقيقة ، فانظر الى كونه تعالى خلقهم عدولا وخيارا ليكونوا شهداء على بقية الأمم يوم القيامة ، وحينئذ فكيف يستشهد الله تعالى بغير عدول أو بمن ارتدوا بعد وفاة نبيهم ( عليه الصلاة والسلام ) الا

نحو ستة أنفس منهم كما زعمته الرافضة قبحهم الله تعالى ولعنهم وخذلهم ، ما أحمقهم وأجهلهم وأشهدهم بالزور والافتراء والبهتان !!

ومنها قوله تعالى :

يَوْمَ لَا يُخْزِى
ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ
يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾

فآمنهم الله تعالى من خزيه ولا يأمن خزيه فى ذلك اليوم الا الذين ماتوا والله سبحانه وتعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام عنهم راض ، فآمنهم من الخزى الصريح لهو من أعظم الأدلة على كمال وحقائق الاحسان وان الله تعالى لم يزل راضيا عنهم حيث يقول الحق تبارك وتعالى :

لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ
يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ
عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾

فصرح الله تعالى برضاه على أولئك الأصحاب رضوان الله عليهم أجمعين وهم ألف ونحو أربعمائة ، ومن رضى عنه تعالى لا يمكن وفاته على الكفر ، لأن العبرة بالوفاة على الاسلام ، وان الرضا من الله تعالى لا يقع الا على من علم موته على الاسلام ، وأما من علم موته على الكفر فلا يمكن أن يخبر الله تعالى بأنه راض عنهم ، فعلم أن كلا من هذه الآية وما قبلها رد صريح فيما زعمه وافتراه أولئك الملحدون الجاحدون حتى للقرآن العزيز ، اذ يلزم من الايمان به الايمان بما فيه ، وقد علمت أن الذى فيه أنهم خير الأمم وأنهم عدول خيار وأن الله تعالى لا يخزيهم وأنه رضى عنهم فمن لم يصدق بذلك فيهم فهو مكذب لما فى القرآن ومن كذب بما فيه مما لا يحتمل التأويل كان كافرا جاحدا ملحدا مارقا . ومنها قوله تعالى :

وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾

وقوله تعالى :

لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ
الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ
وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾
وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ
وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ
كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾
وَالَّذِينَ جَاءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا
بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ
رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾

فتأمل ما وصفهم الله تعالى فى هذه الآيات تعلم به ضلال من طعن فيهم من شذوذ المبتدعة ورميهم بما هم بريئون منه . ومنها قوله تعالى :

مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ
رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ
سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ
وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ
فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

فانظر الى عظيم ما اشتملت عليه هذه الآية ، فان قوله تعالى « محمد رسول الله » جملة مبينة للمشهود به فى قوله تعالى : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق » ففيها ثناء عظيم على رسوله ثم ثنى بالثناء على أصحابه ( رضوان الله عليهم ) بقوله : « والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » وقوله تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ
يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن
يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾

فوصفهم الله تعالى بالشدة والغلظة على الكفار ، وبالرحمة والبر والعطف على المؤمنين والذلة والخضوع لهم ، ثم أثنى عليهم بكثرة الاعمال مع الاخلاص وسعة الرجاء فى فضل الله تعالى ورحمته بابتغائهم فضله ورضوانه ، وبأن آثار ذلك الاخلاص وغيره من أعمالهم الصالحة ظهرت فى وجوههم حتى ان من نظر اليهم بهره حسن سمتهم وهديهم ، ومن ثم قال الامام مالك رضى الله عنه : بلغنى أن النصارى كانوا اذا رأوا الصحابة ( رضوان الله عليهم ) الذين فتحوا الشام ، قالوا : والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا ٠

وقد صدقوا فى ذلك فان هذه الأمة المحمدية خصوصا الصحابة ( رضوان الله عليهم ) لم يزل ذكرهم معظما فى الكتب ٠ كما قال الله تعالى :

ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

فكذلك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم آزروه وأيدوه ونصروه فهم معه كالشطء مع الزرع ليغيظ بهم الكفار · ومن هذه الآية أخذ الامام مالك فى رواية عنه بكفر الروافض الذين يبغضون الصحابة رضى الله عنهم أجمعين حيث يقول : لأن الصحابة يغيظونهم ومن غاظه الصحابة فهو كافر ·

وهو مأخذ حسن يشهد له ظاهر الآية ومن ثم وافقه الشافعى رضى الله تعالى عنهما فى قوله بكفرهم ، ووافقه أيضا جماعة من الأئمة أمثال الامام أحمد ابن حنبـل والقاضى أبو يعلى وشـيخ الاسلام ابن تيمية ·

ويكفيهم شرفا أى شرف ثناء الحق تبارك وتعالى عليهم فى الآيات السابقة حيث ذكر تعالى رضاه عنهم ووعده اياهم جميعا بالمغفرة والأجر العظيم ووعد الله صدق وحق لا يتخلف ولا يخلف لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم ·

ولو لم يرد من الله تعـالى ورسوله عليه الصلاة والسلام فيهمشىء مما سبق لأوجبت الحال التى كانوا عليها من الهجرة والجهاد ونصرة الاسلام وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد ، والمناصحة فى الدين وقوة الايمان واليقين القطـع بتعديلهم والاعتقـاد

بنزاهتهم وانهم افضل من جميع الجائين بعدهم والمعدلين الذين يجيئون من بعدهم ، هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتمد قوله ، ولم يخالف فيه الا شذوذ من المبتدعة الذين ضلوا واضلوا فلا يلتفت اليهم ولا يعول عليهم ، وقد قال امام عصره أبو زرعه الرازى من أجل شيوخ البخارى :

اذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم انه زنديق ، وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم حق والقرآن الكريم حق وما جاء به حق ، وانما أدى الينا ذلك كله الصحابة ، فمن جرحهم انما أراد ابطال الكتاب والسنة ، فيكون الجرح بهم أحق ، والحكم عليه بالزندقة والضلالة والكذب والفساد هو الأقوم الأحق .

وقال ابن حزم : الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعا ، قال تعالى : « لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ، وكلا وعد الله الحسنى » وقال تعالى : « ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون » فثبت أن جميعهم من أهل الجنة وانه لا يدخل أحد منهم النار لأنهم المخاطبون بالآية الأولى التى أثبتت لكل منهم الحسنى وهى الجنة ، ولا يتوهم أن التقييد بالانفاق أو القتال فيها وبالاحسان فى الذين

لحوقهم بالحسان يخرج من لم يتصف بذلك منهم لأن تلك القيود خرجت مخرج الغالب فلا مفهوم لها على أن المراد من اتصف بذلك ولو بالقوة أو العزم ٠

ثم الصحابة أصناف فمنهم المهاجرين والانصار ومن أسلم يوم الفتح أو بعده ، فأفضلهم اجمالا المهاجرون فمن بعدهم على الترتيب المذكور وأما تفضيلا فسباق الأنصار أفضل من جماعة من مستأخرى المهاجرين وسباق المهاجرين أفضل من سباق الأنصار ثم هم بعد ذلك يتفاوتون ، قرب متأخر اسلاما أفضل من متقدم كبلال ٠

وقال ابو منصور البغدادى :

أجمع أهل السنة ان افضل الصحابة ابو بكر فعمر فعثمان فعلى فبقية العشرة المبشرين بالجنة فاهل بدر فباقى أهل أحد فباقى اهل بيعة الرضوان بالحديبية فباقى الصحابة ٠

ويجب الامساك عما وقع بينهم من الاختلاف صفحا عن أخبار المؤرخين لا سيما جهلة الروافض وضلال الشيعة والمبتدعين القادحين فى أحد منهم ٠